© 2020 مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

القلة والكثرة في القرآن الكريم(*)

هند بنت محمد سردار [1]

(The Minority and Majority in the Holy Quran)

Hind binti Muhammad Sardar

ABSTRACT

This research entitled "The Minority and Majority in the Holy Quran." The study handles the minority and majority in terms of meanings and Quranic connotations, as well as revealing the causes and considerations of revelation, and linking this with reality. This study aims to introduce the concept of minority and majority, and to clarify the divisions of each of them, their types, the connotations of context, and the grammatical and legal rulings that they entail. The study followed the inductive approach represented in collecting Quranic verses, as well as the descriptive analytical approach in studying the topics and vocabulary of research and previous studies. The research is divided into two chapters: Chapter one handles the concept and characteristics of minority and majority in the Qur'an and Norms of Allah including three topics. The second chapter handles norms of Allah in minority and majority including two topics. The study recommended the necessity of studying such formulas, which have rhetorical meanings that arise through specific contexts, and to explain their uses in the Qur'an and their impact on reality.

Keywords: *Minority, Majority, Norms.*

(*) This article was submitted on: 27/05/2018 and accepted for publication on: 18/07/2020.

[1] أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى

ملخص

جاء البحث تحت عنوان " **القلة والكثرة في القرآن الكريم** " وتناولت الدراسة القلة والكثرة من حيث المعاني والدلالة القرآنية .

وبيان أسباب نزولها واعتبارات النزول وربط ذلك بالواقع ، وتهدف هذه الدراسة إلى التعريف بمفهوم القلة والكثرة وبيان أقسام كل منهما وأنواعهما ودلالات السياق وما ينطوي عنهما من الأحكام النحوية والشرعية . وتتبعت المنهج الاستقرائي الذي يتمثل في جمع الآيات القرآنية ، وأيضاً : على المنهج الوصفي التحليلي في دراسة موضوعات ومفردات البحث والدراسات السابقة ، وقسمت البحث إلى فصلين : الأول: مفهوم وخصائص القلة والكثرة في القرآن وسنن الله فيها ، وفيه ثلاثة مباحث ، وجاء الثاني: سنن الله في القلة والكثرة وجاء فيه مبحثان : وجاءت أهم التوصيات بضرورة التفات البحثين إلى دراسة مثل هذه الصيغ والتي تحمل في تضاعيفها معاني بلاغية تبرز من خلال سياقات محددة ، وبيان استعمالاتها في القرآن وأثرها على الواقع .

كلمات دالّة: القلة، الكثرة، السنن.

1- مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي خلق الانسان على افضل صورة، وكرمه وفضله على كثير من خلقه، وأنزل من التشريع ما يقوم ويربي الانسان، وصلاة وسلماً على نبيه الكريم سيدنا محمد المربي الأول وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن من نعم الله علينا نعمة التكثير والتقليل، فقد وردت الكثرة والقلة في العديد من سور القرآن الكريم، قال الله سبحانه تعالى: ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ**

تَشْكُرُونَ﴾[2]، وفي سورة الأعرف إذ امتن الله تعالى على قوم شعيب – عليه السلام – بأن كثَّرهم، فقال سبحانه: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [3]، كذلك امتن الله تعالى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فجعل عمل ليلة واحدة – هي ليلة القدر – خير من العمل في ألف شهر، فقال سبحانه: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ [4]، وإن النفوس الشريفة إنما تكاثر بما يدوم عليها نفعه، وتكمل به وتزكو، ومن ذلك العلم.

ان قانون الكثرة والقلة هو قانون اجتماعي، وفي مقابل الكثرة تحدث القرآن عن القلة في أكثر من ثلاثين أية[5]، نقرأ في قوله تعالى ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[6] ، ونقرأ ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[7] ، وعلى المستوى الإيماني ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾[8] وعلى المستوى الجهادي ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا**﴾ [9]، وعلى المستوى العددي ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ** ﴾ [10].

لقد ورد في القرآن الكريم الكثير من آيات الكثرة والقلة في ثنايا السور التي تتحدث عن المواقف وتصنيف الناس عبر مراحل تاريخ البشرية. فلقد وردت آيات الكثرة في أكثر من

---

[2] الأنفال: 26.
[3] الأعراف: 86.
[4] القدر: 1-3.
[5] الدعوة إلى الله أهميتها ووسائلها، (1433هـ)، فهد العصيمي، ط1، العبيكان، الرياض ، ص 87 .
[6] الأنعام: 16 .
[7] الشعراء: 67.
[8] يوسف: 103.
[9] التوبة: 25.
[10] التكاثر: 1-2.

(90) آية، والقرآن ليس كتاب تاريخ يتحدث عن الماضي وإنما هو كتاب الحاضر والمستقبل[11].

ومن خلال النظر في السنن الربانية والآيات القرآنية التي تتناول القلة والكثرة، برزت الحاجة إلى تناول هذا الموضوع بدراسة متأنية؛ للوقوف على معانيها أينما وردت، والأخذ بعين الاعتبار زمن نزول الآيات وأسبابه إن وجدت، وربط ذلك كله بالواقع المعاش. وقد ينظر إلى مفهومي القلة والكثرة نظرة خاطئة، ويتم تقويم حالتيهما بصورة بعيدة عن الصواب؛ فالقلة في نظر الناس مذمومة، والكثرة عندهم محمودة، لكن بعد البحث في معاني الآيات القرآنية التي تحمل هذين المفهومين نجد الحق في غير تلك النظرة السائدة.

من خلال هذا البحث أتناول موضوع القلة والكثرة في القرآن الكريم من خلال فصلين رئيسيين هما: فصل أول: مفهوم وخصائص وأنواع القلة والكثرة في القرآن الكريم، وفصل ثاني: سنن الله في القلة والكثرة في القرآن الكريم.

2- مفهوم وأقسام وأنواع القلة والكثرة في القرآن

2.1- مفهوم القلة والكثيرة في القرآن الكريم:

2.1.1 تعريف القلة في القرآن الكريم:

أولاً: تعريــف القلـة:

القلـة لغــةً : وردت القلة ومادتها في اللسان العربي دالة على عدد من المعاني نريد أن نقف أمامها، ونفيد من خلالها ما يعيننا على حسن التعامل مع سنة الله – تعالى – في القلة في القرآن الكريم، فالتصور أساس السلوك، والحكم على الشيء فرع عن تصوره. ومن تتبع اللسان العربي، عبر لسان العرب، وأساس البلاغة ،والخصائص، والتهذيب، والمقاييس، وما دار حول ذلك من معاجم وقواميس نجد الكلمة تدور حول هذه الدلالات:

---

[11] الدعوة إلى الله أهميتها ووسائلها، مرجع سابق، ص 88 .

تدل المادة على الارتفاع، وعلى العلو، والتفرد، والانفراد، وتدل على أنها معتمد غيرها، وارتفاع غيرها بها، وقمة الشيء وأعلاه، والنهضة من عثرة، والنهوض من علة، والنهوض من فقر، والسرعة.

الخسة والدناءة، النذارة، وعدم الاستقرار، والنقص، والصغر. يكنى بها عن العزة. وتدل على الجهالة [12].

القلة اصطلاحاً: تعني عدم الكفاية في اي مجال من المجالات بينما الكثرة تعني وجود الكفاية وما يزيد في أي مجال أيضاً كالمال أو القوة أو العدد, وليس لهذين اللفظين غير هذا المعنى في اللغة، وكل الاستعمالات التي وردا فيها هي من نوع التطبيق لمعناهما على المصاديق النوعية المتعددة في الواقع الخارجي.

(الْقلَّة تَقْتَضِي نُقْصَان الْعدَد يُقَال قوم قَلِيل وقليلون وَمن الْقُرْآن (لشرذمة قَلِيلُونَ) يُرِيد أَن عَددهمْ ينقص عَن عدَّة غَيرهم وَهِي نقيض الْكَثْرَة وَلَيْسَت الْكَثْرَة إِلَّا زِيَادَة الْعدَد وَهِي فِي غَيره اسْتِعَارَة وتشبيه واليسير من الْأَشْيَاء مَا يَتَيَسَّر تَحْصِيله أَو طلبه وَلَا يَقْتَضِي مَا يَقْتَضِيهِ الْقَلِيل من نُقْصَان الْعدَد أَلا ترى أَنه يُقَال عدد قَلِيل وَلَا يُقَال عدد يسير وَلَكِن يُقَال مَال يسير لِأَن جمع مثله يَتَيَسَّر فَإِن اسْتعْمل الْيَسِير فِي مَوضِع الْقَلِيل فقد يجْرِي اسْم الشَّيْء على غَيره إِذا قرب مِنْهُ) [13].

وأما القلة فإن الموارد الواردة في القرآن الكريم هي التالية :

أولاً: على المستوى الايماني: قال الله تعالى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾ [14]، وقوله تعالى:﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا**

---

[12] انظر: الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الإبياري (المتوفى: 1414هـ)، مؤسسة سجل العرب، الطبعة: 1405 هـ.

[13] انظر لسان العرب: أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين بن منظور المصري الأفريقي (ت 711هـ)، (2002)، دار صادر، بيروت، ص 142.

[14] هود: 40.

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [15]، وقوله تعالى: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾**، وقولة تعالى: ﴿**ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾** [16].

ثانياً: على المستوى الجهادي: قال الله تعالى: ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**[17]، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾** [18].

ثالثاً: على المستوى المعنوي: قال الله تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾**[19]، وقوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [20].

رابعا: على المستوى المالي: قال الله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾** [21]، وقوله تعالى: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾** [22].

وبالتدقيق في هذه المصاديق لمعنى القلة نجد المدح والتقدير الإلهي على كل المستويات المذكورة , وهذا عائد إلى سبب أساس أيضاً هو أن الإيمان بالله عز وجل كان المصدر الأساس لكل أولئك الذين امتدحهم الله ووعدهم بالرحمة والمغفرة والنصر والغلبة والهيمنة على كل الأمور[23].

---

15 العصر: 1- 3.

16 ص: 24.

17 الواقعة: 13- 14.

18 الأنفال: 65.

19 القصص: 5.

20 الأنفال: 26.

21 البقرة: 155.

22 آل عمران: 186.

23 انظر: وسائل الدعوة، محمد أبو الفتح، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ١٤١٠ هـ.

ومن أبرز الأمثلة في ظرفنا الراهن الذي تعيش على هذا الصراع بين الأقلية المؤمنة والأكثرية المنحرفة في المستويات الإيمانية والجهادية والمالية والمعنوية هو ما نشهده[24].

2.1.2 مفهوم الكثرة في القرآن الكريم:

(الكثرة: نقيض القلة ... وقد كثر الشيء فهو كثير. وقوم كَثيرٌ، وهم كَثيرونَ. وأكْثَرَ الرجل، أي كثر ماله)[25]. (ويقال: كاثرناهم فكثرناهم، أي غلبناهم بالكثرة. ....واستكثرت من الشيء، أي أكثرت منه. والكُثْرُ بالضم من المال: الكَثيرُ... والتكاثُرُ: المكاثَرَةُ. وعددٌ كاثِرٌ، أي كَثيرٌ. ويذكر ابن فارس في مقاييس اللغة أن (الْكَافُ وَالثَّاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ خِلَافَ الْقِلَّةِ. مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءُ الْكَثِيرُ) [26].وبالاستقراء يمكننا تحديد موارد كثيرة لهذا المعنى في القرآن منها :

أولاً: على المستوى الإيماني: قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ [27] و﴿ **وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ** ﴾ [28].

ثانياً: على المستوى الجهادي: قال الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا**﴾[29].

ثالثاً: على المستوى العددي: قال الله تعالى: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ**﴾ [30].

---

[24] انظر: الموسوعة القرآنية، إبراهيم بن إسماعيل الابياري (المتوفى: 1414هـ)، الناشر: مؤسسة سجل العرب، الطبعة: 1405هـ.

[25] انظر: السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ج ١.

[26] انظر: مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية - 1406 هـ - 1986م، 243.

[27] يوسف: 103.

[28] الروم: 8.

[29] التوبة: 25.

[30] التكاثر: 1- 2.

رابعاً: على المستوى المالي: قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾ [31]، وبالتأمل في هذه الآيات القرآنية يتوضح لنا بشكل إجمالي أن تقويم النظرة الإسلامية لمعنى الكثرة هو " تقويم سلبي" وهذا راجع إلى جملة من المفاسد التي تترتب على كل مصداق من تلك المصاديق لمعنى الكثرة.

من كل ما سبق , نصل إلى النتيجة التي نتوخاها وهي أن الكثرة بما هي كثرة ليست هي المقياس للحقيقة في المجالات الإيمانية وليست هي سبب الغلبة في المجالات العسكرية وليست هي الوسيلة لإعطاء الإنسان قيمته المعنوية أو منزلته الاجتماعية وليست الكثرة في المال هي الطريق الموصل لتحقيق الأهداف الإلهية في الكثير من الحالات وإن كان كل ذلك لا يمنع من أن تكون الكثرة في بعض الأحيان على تلك المستويات محققة للأهداف الإلهية إذا توافرت فيها الشروط الموضوعية وفق النظرية الإسلامية الإلهية كما يعبر ذلك سبحانه عمن يملكون الكثرة من المال وينفقونه في سبيل الله تحصيناً للمجتمع ورفعاً للمستوى الاجتماعي للفقراء لتحقيق مجتمع العدل والكفاية الاجتماعيين[32]، كما يقول تعالى: ﴿ **مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[33]، وقوله تعالى: ﴿**لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[34].

تعبير القرآن الكريم عن الكثرة:

---

31 القصص: 76.

32 انظر: مقاييس اللغة، مرجع سابق، 245.

33 البقرة: 261.

34 التوبة: 88.

ورد التعبير عن الكثرة في القرآن الكريم بصور متعددة، وألفاظ مختلفة، فورد التعبير عنها بلفظ:

كثُر، كثرت، كثّركم، أكثرت، أكثروا، استكثرت، استكثرتم ، تستكثر، كثرة، كثرتكم، كثير، كثيرة، أكثر، أكثركم، أكثرهم، تكاثر، كوثر، كما ورد التعبير عنها بألفاظ أخرى من غير مادتها، مثل أساليب التكثير، وكم، ونحوها.

موقف القرآن الكريم من الكثرة:

حين نتأمل الآيات التي ورد فيها لفظ الكثرة في القرآن الكريم، ونرد الأشباه والنظائر إلى أصول جامعة نجدها تتلخص في أمرين جامعين: الكثرة المحمودة، والكثرة المذمومة[35].

أولاً: الكثرة المحمودة:

وهي التي تناولها القرآن مادحا لها بذكرها في مواطن تدعو إلى أهميتها، وتحث على الإفادة منها، سواء كان ذلك على سبيل الامتنان على أصحابها بأنهم كانوا قليلا فكثّرهم الله، أو رغبة النبي – صلى الله عليه وسلم– في الاستكثار من الخير لو كان يعلم الغيب، أو عفو الله – تعالى– عن كثير من الذنوب منّاً منه على عباده وفضلاً، أو الدعوة إلى تسبيح الله تعالى وذكره كثيرا، أو مَنُّهُ تعالى على عباده بالغيث الكثير الذي يحيي به البلاد ويُقيت العباد، ويُنشئ لهم منه جنات من نخيل وأعناب لهم فيها فواكه كثيرة، وأثر كثرة ذكر الله تعالى في عصمة المؤمنين من أن يقولوا ما لا يفعلون، أو مَنّ الله تعالى على عبده ونبيه ﷺ بالكوثر: النهر الكثير الخير، الذي لا يظمأ من شرب منه أبدا، أو من الله تعالى على المؤمنين بكثرة نصره لهم في مواطن كثيرة، وتعديده تعالى لكثرة من قاتل مع النبيين من الربانيين والمجاهدين، ومن الله تعالى على عباده بكثرة الساجدين له من الخلق، واهتداء كثير من الناس بما يضربه الله تعالى لهم من الأمثال، أو وصفه تعالى لمن يؤت الحكمة بأنه قد أوتي خيرا كثيرا، وأنه لا

35 انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)،المحقق: الشيخ زكريا عميرات، ط1، 1416هـ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

يعقل ذلك ولا يفيده إلا أولو الألباب، أو منُّه تعالى على عباده بكثرة ما خلق من نسل آدم وحواء ودعوته إياهم أن يتقوه؛ شكرا لهذه المنة ووفاء لتلك النعمة.

ثانياً: الكثرة المذمومة:

وتبدو الكثرة المذمومة في القرآن الكريم من خلال تعبير القرآن وحديثه عنها في معرض الذم والإنكار، سواء كان ذلك على سبيل البيان؛ لأن كثيرا من الناس يضلون بأهوائهم بغير علم، أو بيان أن كثيرا من الناس عن آيات الله غافلون، أو بيان دعوى الأقوام أنهم لا يفقهون كثيرا مما يقوله الأنبياء والمرسلون، وتنكبهم الصراط المستقيم ، وإضلال الأصنام لكثير من الناس، وأن كثيرا من القرون بين عاد وثمود هلكوا بذنوبهم، وأن كثيرا منهم بلقاء ربهم كافرون، وإضلال الشياطين لكثير منهم، وبيان أن كثيرا من الخلطاء يبغي بعضهم على بعض، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأن هؤلاء قليلون، أو أن المرء لو أطاع أكثر من في الأرض لأضلوه عن سبيل الله، وبيان طبيعة أكثر الناس وأن أكثرهم لا يعلمون، ولا يعقلون، ولا يسمعون، ولا يؤمنون بالله إلا وهم مشركون، وتمضي الكثرة في القرآن الكريم لتبين للناس أن أكثر أهل الكتاب لا عهد لهم، وأن كثيرا منهم فاسقون، وأن كثيرا منهم ساء ما كانوا يعملون، وأن كثيرا منهم عموا وصموا، وبيان أن الكثرة المعادية لله تعالى لا تغني عن أصحابها شيئا، أو أن الخبيث لا يساوي الطيب ولو أعجب الناس كثرة الخبيث، أو ذم كثير من أهل الكتاب الذين يودون أن يردوا المؤمنين عن إيمانهم، أو كثرة النجوى في غير أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس[36].

2.2- صفات وخصائص القلة والكثرة في القرآن الكريم:

2.2.1 صفات وخصائص القلة في القرآن الكريم:

الناظر في آيات القلة في القرآن الكريم يجد أنها تمضي في خط واحد، وتسعى إلى هدف محدد، بما يبرز صورة متكاملة عن قضية كلية، لها ملامحها وسماتها، ولها أصول جامعة، ونظائر متناسقة، ويمكن أن نرصد تلك السننية في خطوتين:

---

[36] انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ.

1- ملامح الترابط السنني في آيات القلة:

الناظر في آيات القلة الواردة في القرآن الكريم يجد هذا الخيط الدقيق الرقيق الذي يربطها ويجمعها من أولها إلى آخرها، لا تنقض آية أختها، ولا تشاكسها ولا تعكر صفوها، ولا تكدر رواءها، بل تمشي في مسارها، وتؤكد عطاءها، وترسخ دلالتها، سواء ذلك في وصف الفئة المؤمنة التي اتبعت نوحاً عليه السلام، وآمنت به إذ كذبه الناس، وناصرته إذ تخلى عنه البشر، القريب والغريب والصديق والعدو حتى ابنه الذي هو من صلبه، تخلى عن دعوته وهجر رسالته حتى يوصي السالف الخالف، ويؤكد الأجداد وصيتهم للأبناء بل الأحفاد موقفهم من نوح عليه السلام، أو في كل فئة مؤمنة عبر التاريخ.

والفئة القليلة من قوم نوح هي، التي وصفها قومها بأنهم أراذل بل (أراذلنا)، وأنهم متسرعون في الإيمان(بادي الرأي)، وأنهم ليس لهم على قومهم فضل ولا سبق، وهذه الصفات وتلك الخيوط الدقيقة التي وقفنا أمامها تفصيلا لدى الحديث عن صفات القلة، هي هي التي تتكرر في كل قلة، بما يؤكد خط السننية في تلك الآيات الكريمة، كما تلمح التهم نفسها والصفات ذاتها تتكرر في اتهام قريش أتباعَ الرسول صلى الله عليه وسلم، ورغبة أهل مكة في أن يجعل لهم الرسول يوما ولهؤلاء يوما حتى نزل القرآن الكريم ينهى رسول الله عن ذلك ويصف هؤلاء القلة بأنهم (يريدون وجهه)، ويأمر نبيه بأن لا يعدو وجهه عنهم بقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا * وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [37].

كما تجد الآيات التي تصف القلة يربطها خيط واحد واضح من علاقتهم بالحياة والأحياء، كوصف متاع الحياة الدنيا بأنه قليل، وأن أمان الكافرين في الدنيا يزول ولا يدوم، وصف عموم الناس بقلة الشكر، وقلة التذكر وقلة العلم وقلة الفهم وقلة العقل، والخيط الجامع لهذه الأشياء هي الحياة وما فيها وما يدور حولها، ويغري الناس بها.

ولا شك أن هذا كله يؤدي بعد جمعه إلى تكوين صورة صحيحة فصيحة دقيقة واضحة عن القلة مدحا وذما، وإبراز موقف القرآن منها ، وتلك منهجية القرآن في رسم صورة واضحة

[37] الكهف: 28- 29.

المعالم بينة الملامح عن القلة التي تناولها، تسلم كل آية إلى أختها، في تناسق بديع يمهد فيه السابق للاحق ويؤكد فيه اللاحق على السابق في تناغم واتساق[38].

2.2.2 صفات وخصائص الكثرة في القرآن الكريم:

أولاً: صفات الكثرة المحمودة في القرآن الكريم: إذا تتبعنا الآيات التي تصف الكثرة المحمودة في القرآن الكريم يمكن أن نتناولها على النحو الآتي:

1- امتنان الله – تعالى- على قوم صالح بكثرة العدد:

كثرة العدد نعمة، إذا وضعت في مكانها، وأفيد منها على الوجه المرضي، وقديما كان العرب يتمدحون بها.

والكثرة المحمودة نعمة من الله تعالى، امتن بها على قوم صالح فقال في معرض تذكيرهم بنعمه عليهم، ودعوته أن يفيدوا من الكثرة في الدعوة إليه وليس الصد عن سبيله، قال تعالى: ﴿...وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [39].

والكثرة هنا إما كثرة حقيقية بالعدد، أو كثرة عن طريق الغنى الذي يكثر القليل، ويقوي الضعيف، ويعطي للمرء في الحياة قيمته ومكانته، أو تكثير بالقوة بعد الضعف، أو بطول الأعمار بعد قصرها من قبل، أو تكون الكثرة بالبركة في النسل والمال. (منّ عليهم بتكثير العدد؛ لأن بالتناصر والتعاون تمشي الأمور ويحصل المراد.

وفي تكثير عددهم إعزاز لهم وتقديم على غيرهم، مضت بذلك سنة الله في الكثرة عندما تكون كثرة محمودة تعز أهلها، وتعلي مكانهم. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ﴾ [40]، أَيْ :كُنْتُمْ مُسْتَضْعَفِينَ لِقِلَّتِكُمْ فَصِرْتُمْ أَعِزَّةً لِكَثْرَةِ عَدَدِكُمْ فَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ أَيْ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ والقرون الْمَاضِيَةِ وَمَا حَلَّ بِهِمْ

---

[38] انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)،تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى 1422، هـ - 2002 م.

[39] الأعراف: 86.

[40] الأعراف: 86.

مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ بِاجْتِرَائِهِمْ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ وَتَكْذِيبِ رُسُلِهِ، فأهلكهم الله وابتلاهم بنقص من الأموال والأولاد والثمرات، حتى صاروا أثرا بعد عين، وحديثا غابرا في الداثرين[41].

2- عفو الله تعالى عن كثير من أفعال العباد:

وتأتي الكثرة المحمودة هنا في مقام العفو، عفو الله العفو الكريم عن الكثير من ذنوب عباده، وتأتي الكثرة في العفو هنا مرتين في سورة واحدة، بيانا لعظيم عفو الله تعالى وكريم صفحه وغفرانه،، وتبين الآيات الكريمة أن كل ما يصيب الإنسان فبما كسبت يداه ويعفو الله عن كثير، فلو شاء- تعالى- لأسكن الريح، فتظل الفلك رواكد على ظهر البحر لا تتحرك، ويفقد الخلق أرزاقهم وتتوقف مصالحهم، أو يغرقهم بما كسبوا، ولكن عفو الله أوسع لهم، وأجمل بهم، فالكثرة هنا في مقام العفو فهي كثرة محمودة، وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) [42].

3- ضرورة التأكيد أن العفو من الكريم يجري على سنن ثابتة:

ومن البين في الآيات الكريمة أن العفو هنا يجري على سنن ثابتة، ومعنى ويعفو عن كثير: (﴿ويعفو عَن كَثِيرٍ﴾[43]، أي من الذنوب فلا يعاقب عليه أو عن كثير من الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة، وقال ابن عطاء: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في إحسان ربه إليه. وقال محمد بن حامد: العبد ملازم للجنايات في كل أوان وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه لأن جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة وعن علي رضي الله عنه هذه أرجى آية للمؤمنين في القرآن؛ لأن الكريم إذا عاقب مرة لا يعاقب ثانياً وإذا عفا لا يعود) [44].

والآية هنا تمثل سنة من سنن الله (تعالى) في خلقه وهي عفوه عن كثير من أفعال عباده، كما ورد في سورة آل عمران: (ولقد عفا الله عنكم)،يقول صاحب المنار وهو يعقب على

---

41 انظر: محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ.

42 الشورى: 30.

43 الشورى: 30.

44 انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ.

آية آل عمران: (فَالْآيَتَانِ وَارِدَتَانِ فِي بَيَانِ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ اللهِ – تَعَالَى – فِي أَخْلَاقِ الْبَشَرِ وَأَعْمَالِهِمْ، وَهِيَ أَنَّ الْمَصَائِبَ الَّتِي تَعْرِضُ لَهُمْ فِي أَبْدَانِهِمْ وشُئُونِهِمُ الِاجْتِمَاعِيَّةِ إِنَّمَا هِيَ آثَارٌ طَبِيعِيَّةٌ لِبَعْضِ أَعْمَالِهِمْ، وَأَنَّ مِنْ أَعْمَالِهِمْ مَا لَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ تُعَدُّ مُصِيبَةً وَهُوَ الْمَعْفُوُّ عَنْهُ، أَيِ الَّذِي مَضَتْ سُنَّةُ اللهِ – تَعَالَى – بِأَنْ يُعْفَى وَيُمْحَى أَثَرُهُ مِنَ النَّفْسِ، فَلَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الْأَعْمَالُ وَهُوَ بَعْضُ اللَّمَمِ وَالْهَفْوِ الَّذِي لَا يَتَكَرَّرُ وَلَا يَصِيرُ مَلَكَةً وَعَادَةً. وَقَدْ عَبَّرَ عَنْهُ فِي الْآيَةِ الَّتِي هِيَ الْأَصْلُ وَالْقَاعِدَةُ فِي بَيَانِ هَذِهِ السُّنَّةِ بِقَوْلِهِ: وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ – تَعَالَى –: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾[45]، أَيْ بِجَمِيعِ مَا كَسَبُوا، فَإِنَّ " مَا " مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تُفِيدُ الْعُمُومَ. وَقَدْ بَيَّنَّا هَذِهِ السُّنَّةَ الْإِلَهِيَّةَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ التَّفْسِيرِ، وَجَرَيْنَا عَلَى أَنَّهَا عَامَّةٌ فِي عُقُوبَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَجَمِيعُهَا آثَارٌ طَبِيعِيَّةٌ لِلْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، وَقَدِ اهْتَدَى إِلَى هَذِهِ السُّنَّةِ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْغَرْبِ فِي هَذَا الْعَصْرِ) [46].

4- امتنان الله تعالى على الخلق بنزول الغيث:

الماء روح الحياة ، وسر النجاة، جعل الله — تعالى- منه كل شيء حي، سيما إذا كان غيثا، ينتظره الناس، وتتوقف عليه الحياة، وقد مَنَّ الله — تعالى- على الخلق بذلك، وأبان أنه يحيي بهذا الغيث ممن خلق أنعاما وأناسي كثيرا، فالكثرة هنا كثرة محمودة فهي في مواطن الامتنان من الله تعالى وتبدو ملامح الاطراد والسننية هنا في أن الله تعالى جعل من هذا الماء حياة تحيي مما خلق أنعاما وأناسي كثيرا، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً سورة طهورًا * لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [47] ، (وكذا سنّته مع عباده يردّدهم بين إفناء وإبقاء).

5- امتنان الله بالمطر الذي يكون سببا في إنشاء الجنات والفواكه:

وفي موطن آخر يمتن الله — تعالى- على عباده بالمطر الذي يكون سببا في إنشاء الجنات والفواكه الكثيرة فيقول تعالى: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [48].

---

[45] فاطر: 45.

[46] انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الأولى1422 هـ.

[47] الفرقان: 48- 50.

[48] المؤمنون: 19.

وفي سياق امتنان الله تعالى على عباده بالمطر الذي يحيي به أنعاما وأناسي كثيرا، منة أخرى منه تعالى، بأن جعل من هذا الغيث جنات من نخيل وأعناب، لهم فيها فواكه كثيرة، ومنها يأكلون، والكثرة المحمودة هنا تبدو في مَنَّ الله تعالى على خلقه بالفواكه الكثيرة التي سبب حياتها ونمائها واحد وهو الماء، وأنواعها وأصنافها متعددة، فهي تخضع في هذا البقاء والنماء لسنن الله تعالى التي لا تتبدل ولا تتحول، والسننية هنا والاطراد بَيّن من خلال خضوع الفاكهة الكثيرة لقانون يضبطها وسنة تحكمها في النشوء والبقاء والنماء، كما قال – تعالى– : ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [49] .

6– امتنان الله تعالى على عباده بالأنعام ومنافعها الكثيرة:

من المواطن التي ذكرت فيها الكثرة في القرآن الكريم تلك الآية الكريمة التي يمتن الله تعالى فيها على عباده بنعمة الأنعام التي يسقيهم الله تعالى مما في بطونها، ولهم فيها منافع كثيرة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأنعام لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[50].

والسنن هنا واضحة من خلال المنافع التي يصيبها العباد من الأنعام والتي تزيدها التقنية والعلم الحديث تأكيدا لإعجاز القرآن الكريم وقضاياه.

ولعلنا نشير هنا إلى دقة تعبير القرآن الكريم: (مما في بطونها)،فهل في بطون الأنعام غير ما هو مألوف للناس معروف للعامة، مما يصلح غذاء أو دواء مما عبر عنه القرآن بأنه (منافع)؟، اللهم إنا بك مؤمنون، ولنعمك حامدون شاكرون، وعن شكر صنيعك عاجزون، فاحمد اللهم عنا نفسك لنفسك؛ كما ينبغي لجلال وجهك وكمال قدسك، فإنا عن القيام بحق حمدك عاجزون، ولعظمة جبروتك خاضعون، وإليك فيما منحت أهل قربك راغبون، فجد علينا من خزائن جودك بما تعلقت به الآمال، فإنك واسع العطاء جزيل النوال[51].

7– مضاعفة الله تعالى للقرض أضعافا كثيرة:

---

[49] الرعد: 3– 4 .

[50] المؤمنون: 21.

[51] انظر: المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: 458هـ)،المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ 1996م.

كما وردت الكثرة في موضع وصف المضاعفة للقرض في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [52]، والمضاعفة هنا محمودة لأنها جزاء من الله تعالى على البذل والعطاء، فالكثرة كثرة محمودة.

8- عند الله مغانم كثيرة:

كما وردت الكثرة المحمودة في حض الله تعالى المؤمنين المحاربين على عدم التسرع في وصف من ألقى إليهم السلام بأنه ليس مؤمنا رغبة في عرض الدنيا فما عند الله أكثر وأبقى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [53].

9- ضرب الله (تعالى) الأمثال للناس يهتدي بها كثير ويَضِل بها كثير:

مضت سنة الله تعالى في خلقه أن يقيم عليهم سورة الحجة، ويعلمهم البينة؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ومن ذلك أن ضرب لهم في كتابه الأمثال يُضِل بها كثيرا ويهدي بها كثيرا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [54].

وقد يتساءل سائل كيف يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا، فالمتوقع أن يكون بعض الفريقين كثيرا والآخر قليلا، وبالنظر يظهر أن هذا فيه بيان قيمة المهتدين وإن كانوا في أعين الناس قلة، فهم في الواقع ونفس الأمر كثرة،(فَلَا تَنَافِيَ بَيْنَهُمَا لِأَنَّ الْكَثْرَةَ وَالْقِلَّةَ أَمْرَانِ نِسْبِيَّانِ، فَالْمُهْتَدُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ كَثِيرٌ، وَإِذَا وُصِفُوا بِالْقِلَّةِ فَبِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ الضَّلَالِ، أَوْ تَكُونُ الْكَثْرَةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحَقِيقَةِ، وَالْقِلَّةُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَشْخَاصِ، فَسُمُّوا كَثِيرًا ذَهَابًا إِلَى الْحَقِيقَةِ .

ثانياً: الكثرة المذمومة صفاتها وخصائصها في القرآن الكريم:

---

[52] البقرة: 245.

[53] النساء: 94.

[54] البقرة: 26.

وإذا تتبعنا الكثرة المذمومة في القرآن الكريم، وجدناها تدور حول بعض المعاني التي يمكن أن نردها إلى أصول جامعة على النحو التالي: [55]

أ- وصف أكثر الناس.

ب- وصف أكثر أهل الكتاب.

ج- وصف الكثرة لمفردات من الأشياء.

د- وصف أكثر الناس.

خلق الله تعالى الخلق وهو بهم أعلم، وبطبائعهم أخبر، وبخلجات صدورهم أبصر، قال تعالى: ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ [56]، ووصفهم الله تعالى وصفا لا يستطيع غيره، ولا يقدر على القطع به سواه؛ لأنه الأعلم بطوايا النفوس، وخبايا الصدور، وخفايا السرائر، ووردت آيات القرآن الكريم تؤكد هذا الوصف في مواطن متعددة، ذلك الوصف الذي يؤكده الواقع، وتدعمه تجارب الحياة، ويمكن أن نتابع وصف القرآن للكثرة من الناس من خلال هذه الصفات:

1- كثير من الناس عن آيات الله غافلون:

بث الله تعالى في الخلق آيات وعِبَرا، وفي الكون عظات ومُثُلا، والسعيد من اعتبر والشقي من تعداها ولم يدَّكر، وقد مضى حكم الله تعالى وسنته في خلقه بأن كثيرا منهم عن آيات الله غافلون، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [57].

وقد وردت هذه الآية الكريمة في بيان هلاك فرعون الذي ذكر بوصفه دون اسمه، حتى يمضي وصفه على كل (فرعون) ما بقيت الحياة، وتلك بعض ملامح السننية في القرآن الكريم، فهي لا تحدد الاسم، ولا الزمان، ولا المكان؛ حتى يفيد الناس من الوصف، ولا يتوقفوا عند الاسم والرسم، ولكن أكثر الناس غافلون عن هذه العبر، وتلك الفوائد التي تبقى ما بقي

---

[55] انظر: التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، عبد رب النبي علي أبو السعود ، 1412هـ- 1992م، ط1، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة.

[56] الملك: 14.

[57] يونس: 92.

الإنسان، وتتعاقب ما تعاقب الليل والنهار، ومعنى (غافلون) أي :(ساهون، لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها، أو (مُعْرِضُونَ عَنْ تَأَمُّلِ آيَاتِنَا وَالتَّفَكُّرِ فيها).

(وقرئ: لمن خلقك، بالقاف: أي لتكون لخالقك آية كسائر آياته. ويجوز أن يراد: ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين- لئلا يشتبه على الناس أمرك، وحتى لا يقولوا- لادعائك العظمة: إنّ مثله لا يغرق ولا يموت- آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره، وليعلموا أنَّ ذلك تعمد منه لإماطة الشبهة في أمرك).

(وقرأ أبي بن كعب «ننحّيك» بالحاء المشددة من التنحية، وهي قراءة محمد اليماني ويزيد البريدي) [58]. وكثرة التأكيدات الواردة في الآية الكريمة من: إن، واسمية الجملة، واللام يظهر مدى غفلة الناس عن العبرة، على الرغم من ظهورها .

2- أكثر الناس لا يشكرون:

نعم الإله على العباد كثيرة، ومننه على خلقه لا تحد ولا تعد ومع ذلك أكثرهم لا يشكرون، مضت بذلك سنة الله تعالى، فالله تعالى ذو فضل على الناس، ولكن أكثرهم لا يشكرون، وقد بذل إبليس في ذلك، واجتهد أن يكون أكثر الناس لا يشكرون، ووردت الآيات القرآنية الكريمة دالة على ذلك، وأيده واقع الناس وحياتهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[59].

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[60]، أَيْ: لَا يَقُومُونَ بِحُقُوقِ هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَلَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْ بَيَانِ هَذِهِ السُّنَّةِ; أَيْ هَذَا شَأْنُ أَكْثَرِ النَّاسِ فِي غَفْلَتِهِمْ وَجَهْلِهِمْ بِحِكْمَةِ رَبِّهِمْ، فَلَا تَكُونُوا كَذَلِكَ أَيُّهَا سورة المؤمنون، بَلِ اعْتَبِرُوا بِمَا نَزَلَ عَلَيْكُمْ وَتَأَدَّبُوا بِهِ لِتَسْتَفِيدُوا مِنْ كُلِّ حَوَادِثِ الْكَوْنِ، حَتَّى مِمَّا يَنْزِلُ بِكُمْ مِنَ الْبَلَاءِ إِذَا وَقَعَ مِنْكُمْ تَفْرِيطٌ فِي بَعْضِ الشُّئُونِ)، واطراد السنة هنا واضح من تأكيد القرآن الكريم وتعبيره، وواقع الناس يؤكد ذلك واطراده.

3- أكثر الناس لا يعلمون:

ورد نفي العلم عن أكثر الناس في مقامات متعدد في القرآن، ومواطن شتى، ومن خلال تتبع الآيات الكريمة ندرك الآتي:

---

58 انظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد البيانوني، الرياض.

59 البقرة: 243.

60 غافر: 61.

نفي العلم عن أكثر الناس أن الدين هو: البراءة من عبادة ما سوى الله تعالى-، وإخلاص التوحيد له عز وجل هو الدين القيم، قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [61].

والمعنى: (ولكن أهل الشرك بالله يجهلون أن الدين القيم هو البراءة مما سوى الله- تعالى- ، فلا يعلمون حقيقته) [62].

وورد نفي العلم عن أكثر الناس في بيان مقام العلم بأولياء الله تعالى، في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[63]، قال ابْنُ عَبَّاسٍ: (لَا يَعْلَمُ الْمُشْرِكُونَ ما ألهم الله أولياءه).

وورد نفي العلم عنهم في مقام بيان معرفتهم بأن وعد الله حق، قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[64] (38)، أي: (ولكن أكثر قريش لا يعلمون وعد الله عباده، أنه باعثهم يوم القيامة بعد مماتهم أحياء). ونفى علمهم بمعرفة البعث فقال تعالى: (وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)، أي: أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ.

ونفى الله تعالى عدم علم أكثر الناس بأن الله قادر على أن ينزل آية، ولا يعلمون ما يترتب على نزول الآية ورفضهم لها من وجوب حلول العذاب كما مضت بذلك سنة الله تعالى في خلقه، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[65]، (وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ بأن الله قادر على أن ينزلها. ويقال: لاَ يَعْلَمُونَ بما في نزول الآية لأنه لو نزلت الآية عليهم فلم يؤمنون به استوجبوا العذاب).

وهؤلاء الطالبون لآية من الله تعالى لا يعلمون أن الآيات تجري على سنن ثابتة وقوانين لله عز وجل في عباده، فلا تنزل تلبية لطلب المدعوين، وإلا لو نزلت وكذبوا بها لكان في ذلك

---

61 يوسف: 40.

62 انظر: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد الرحمن حسن حنبكة (الميداني)، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م، ج ١، ط1، دار القلم، دمشق.

63 يوسف: 68.

64 النحل: 38.

65 الأنعام: 37.

هلاكهم؛ لكثرة تكذيبهم، ولخالفت تلك الآية سنة الله تعالى في استئصال المكذبين، ورسالة النبي – صلى الله عليه وسلم– في الأمة عامة لا يرد عليها سنة الاستئصال فيكون في ذلك تعارض لسنن الله تعالى وهذا لا يكون، فهم قالوا: (هَلَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ – أَيِ الرَّسُولِ – آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ مِنَ الْآيَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِسُنَنِهِ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ، مِمَّا اقْتَرَحْنَا عَلَيْهِ، وَجَعَلْنَاهُ شَرْطًا لِإِيمَانِنَا بِهِ؟ وَقِيلَ: إِنَّ مُرَادَهُمْ آيَةٌ مُلْجِئَةٌ إِلَى الْإِيمَانِ، وَالْإِلْجَاءُ اضْطِرَارٌ لَا اخْتِيَارٌ، فَلَا يُوَجَّهُ إِلَيْهِ الطَّلَبُ وَلَا يُعْتَدُّ بِهِ إِنْ حَصَلَ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[66] أَيْ: قُلْ أَيُّهَا الرَّسُولُ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى تَنْزِيلِ آيَةٍ مِمَّا اقْتَرَحُوا، وَإِنَّمَا يُنَزِّلُهَا إِذَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ تَنْزِيلَهَا، لَا إِذَا تَعَلَّقَتْ شَهْوَتُهُمْ بِتَعْجِيزِ الرَّسُولِ بِطَلَبِهَا، فَإِنَّ إِجَابَةَ الْمُعَانِدِينَ إِلَى الْآيَاتِ الْمُقْتَرَحَةِ لَمْ يَكُنْ فِي أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ سَبَبًا لِلْهِدَايَةِ، وَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُهُ تَعَالَى فِي الْأَقْوَامِ، بِأَنْ يُعَاقِبَ الْمُعَجِّزِينَ لِلرُّسُلِ بِذَلِكَ بِعَذَابِ الِاسْتِئْصَالِ) [67].

كما أنهم لا يقدرون المعجزة الكبرى وهي القرآن الكريم وحصروا أنفسهم في المعجزات الحسية التي تنتهي بانتهاء زمانها، ولم يدروا أن القرآن تجاوز الزمان والمكان، وحاجات البشر، ففيه لكل زمان ما يعجز أهله ويرشدهم إلى صدق قائله[68].

4- نفى الله تعالى علم أكثر الناس به: علمهم بأن العطاء والمنع من الله

تعالى، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[69].

5- نفي علم أكثر الناس بأن وعد الله حق، وأن كل ما في السماوات والأرض لله.:

وورد نفي علم أكثر الناس بأن وعد الله حق، وأن ما في السماوات والأرض في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[70]، أي:(أنّ كل ما في السموات وكل ما في الأرض من شيء، لله مِلْك، لا شيء فيه لأحدٍ سواه).

6- نفي علم أكثر الناس بما يصلح للناس:

---

66 الأنعام: 37.

67 الأنعام: 37.

68 انظر: مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب، 1401هـ / 1981م، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ص 143.

69 الأعراف: 131.

70 يونس: 55.

ونفى الله تعالى علم أكثر الناس بما فيه مصلحة الأنام، وأن النسخ والإحكام من لدن علام الغيوب، وأنك يا رسول الله لا تأتيهم بشيء من عند نفسك بل(الذي تأتيهم به من عند الله ناسخه ومنسوخه، وهم لا يعلمون حقيقة صحته)، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[71].

(فيه وجهان: أحدهما: لا يعلمون جواز النسخ. الثاني: لا يعلمون سبب ورود النسخ).

7- نفي علم أكثر الناس بالحق:

كما نفى الله تعالى علم أكثر الناس بالحق، ومعرفتهم به، فلا يدرون ما يأخذون وما يدعون، فقال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [72].

والمعنى: (بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الصواب فيما يقولون ولا فيما يأتون ويذرون، فهم معرضون عن الحق جهلا منهم به، وقلَّة فهم)، أو(لا يصدقون بالقرآن، ويقال بالتوحيد) [73].

8- أكثر الناس لا يعلمون قدر عظمة الله:

الناظر في ملك الله تعالى يبهره هذا العلم المحكم وهذا الترتيب الدقيق الذي يشمل كل شيء من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة، ومن علم الإنسان إلى علم الحيوان والنبات والحشرات، فكل بحسبان، وكل يدل على عظمة خالقه، والناس في غفلاتهم عن هذا الإدراك سادرون، وفي غيهم يعمهون، ولقد ضرب الله تعالى مثالاً لافتاً لأنظار الناس واضحاً بيناً لا يحتاج إلى عمق في العلم ، ولا مهارة دقيقة في الإدراك بل يراه العامي والعالم، وكل يفهمه حسب معطياته وقدراته، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[74].

9- نفي علم أكثر الناس بأن للذين ظلموا عذابا غير عذاب الدنيا:

ونفى الله تعالى عن أكثر الناس علمهم بأن للظالمين عذابا غير عذابهم في الدنيا، وأنه نازل بهم ما لم يتوبوا لا محالة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

---

71 النحل: 101.

72 الأنبياء: 24.

73 انظر: التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته، عبد رب النبي أبو السعود، ط1، 1412هـ / 1992م، دار التوفيق النموذجية للطباعة، القاهرة.

74 النمل: 61.

لَا يَعْلَمُونَ﴾[75]. والمعنى: أكثرهم لا يعلمون (أَنَّهُمْ ذَائِقُو ذَلِكَ الْعَذَابِ)، أو: (أنّ الله ناصر لدينه)، أو (أَنَّ الْعَذَابَ نَازِلٌ بِهِمْ).

10- نفي علم أكثر الناس بالمتقين حقاً:

ونفى الله تعالى علم أكثر الناس بأن أولياء الله هم المتقون حقا، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[76].

11- نفي علم أكثر الناس أن الله وحده هو الحقيق بالحمد:

الله عز وجل وحده هو الحقيق بالحمد والثناء، والجدير بالشكر والدعاء، لفضله وإنعامه، وبره وإكرامه، وأكثر الناس لا يعلمون ذلك، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[77].

2.3 أقسام وأنواع القلة والكثرة في القرآن الكريم:

2.3.1 أقسام وأنواع القلة ومقارباتها في القرآن الكريم:

ورد التعبير عن القلة في القرآن الكريم بعبارات متعددة دارت حول ما يأتي:

قليل، بمواطنه المتنوعة، وصوره المتعدد: (قليلا، قليل، قليلون، قليلة، أقل، شرذمة، أمة، فريق).

كما وردت الدلالة على القلة بالنص على العدد، مثل: قال رجلان، سبعين رجلا، عشرون صابرون، مائة صابرة، دراهم معدودة، ، اثني عشر نقيبا، أو باستخدام لفظة تدل على القلة مثل: يستضعفون، يسير، قتور، أو التركيب الدال عليها مثل التبعيض، والاستثناء،... ونحو ذلك[78].

أولاً: أنواع القلة في القرآن الكريم:

---

75 الطور: 47.

76 الانفال: 34.

77 الزمر: 29.

78 انظر: فقه الدعوة في صحيح الأمام البخاري، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ج1، ط1، 1421هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

تناول القرآن الكريم الحديث عن القلة تناولا واضحا يبين خصائصها ويبرز سماتها، وبالتأمل في حصر الآيات التي تدل على القلة صراحة أو ضمنا يمكننا أن نقسم القلة إلى نوعين وهما:

النوع الأول: القلة المحمودة:

وهي التي ورد التعبير عنها في القرآن الكريم في مقام المدح لأصحابها، والدلالة على أنهم تفردوا بسمات واتصفوا بصفات يرضاها الله — تعالى ويدعو إليها، سواء كانت تلك الصفات ريادة وسبقا في وقت يندر فيه السبق والريادة، أو إيمانا يستحق أن يؤيده الله ويؤوي أهله، ويرزقهم من الطيبات لعلهم يشكرون، أو ثباتا في ميدان القتال والجهاد في سبيل الله، أو يقينا صادقا في نصرة الله على الرغم من قلة العَدد والعُدد، أو دواما على الأمانة وبعدا عن الخيانة، أو سبقهم في العلم والمعرفة، أو شكرهم على العطاء مع قلة الشاكرين وكثرة الجاحدين، أو عدالتهم في الشركة والخلطة، وبعدهم عن البغي على الخلطاء، أو رضاهم بما قسم الله لهم من زخرف الدنيا وزينة الحياة، مع إيمانهم ورؤيتهم لكثرة مال الكافرين الجاحدين وولدهم، ونحو ذلك مما سنقف عليه تفصيلا عند تناول الآيات الكريمة إن شاء الله[79].

النوع الثاني: القلة المذمومة:

وهي التي ورد الحديث عنها بصورة تنفر منها، وتبعد عنها، وتدل على اتصاف أصحابها بصفات لا يرضاها الله – تعالى–، ولا تقبلها الفطر السوية، والنفوس الأبية، ينعى القرآن على أصحابها، ويحذر من مغبة الميل إليها، مثل وصف ما لدى المفترين بأنه ليس فلاحا بل متاع قليل، لا يلبث أن يزول ويحول، أو أن أمانهم لا يستمر، وعدوانهم على المرسلين لا يدوم، بل عما قليل ليصبحن نادمين، نادمين على إنكارهم وشنيع صنيعهم مع الأنبياء والمرسلين، أو وصف شكرهم مع عظم ما ينعم به عليهم بأنه قليل، لا يتناسب مع حقيق الشكر وواجب الاعتراف، أو وصف التذكر الصادر من بعض البشر بأنه قليل على الرغم من توفر دواعي التذكر، وأسباب التفكر، أو النكير عليهم أنهم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فيشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، ويبيعون دينهم بعرض من الدنيا زائل، وعطاء من الحياة حائل، أو وصف متاع الحياة بأنه في جنب الآخرة قليل، أو النعي على بني إسرائيل

79 محاسن التأويل، مرجع سابق، ص 216.

بأنهم لا يؤمنون إلا قليلاً، أو وصف متعتهم وفرحهم في الحياة بأنه قليل، أو أنهم لا يأتون البأس إلا قليلاً، ونحو ذلك مما يتضح عند تناول الآيات الكريمة بإذن الله.

أولاً: القلة المحمودة صفاتها وخصائصها في القرآن الكريم:

ومن خلال تتبع الآيات الكريمة يمكن أن نتبين القلة المحمودة ، وأهم سماتها على النحو التالي:

القلة: هم الخلاصة المصطفاة والبقية المنتقاة.

القلة المحمودة: هي في كل مكان الخلاصة المصطفاة، والبقية المنتقاة، المنتقاة من كل شيء: زمانا، ومكانا، وأفرادا، ومعادن، هم الرواحل التي تتحمل إذا كَلَّ غيرها، وتصبر إذا مَلَّ سواها، تحمل حملها وكثيرا من حمل غيرها، فهي الرائدة في المتاهة، وهي القائدة في اضطراب الأمور.

تلك القلة هي التي تقل عند الطمع، وتكثر عند الفزع، فهم – بحق خلاصة جنسهم، وبقية نوعهم، ولقد تبين من خلال سَوْق القرآن الكريم لتلك النماذج القليلة ما يؤكد تفردهم وندرتهم، وقلتهم (بما تعنيه مادة القلة من دلالة) فيما يتصفون به، وإذا طالعنا القلة التي عبرت البحر مع طالوت، عرفنا إلى أي مدى تتضح فيهم تلك الصفة، فهم قلة لكنهم هم، هم وحدهم الذين عبروا النهر مع طالوت، وهم هم وحدهم الذين أدركوا واعين قوانين الله في النصر والهزيمة إدراكا عمليا، وإن أدركه غيرهم إدراكا ثقافيا معرفيا، وسيَبِين لنا في الصفحات القادمة كم كانوا واعين بل واعبين لقيم يندر أن يجمعها سواهم، ويقل وجودها فيمن عداهم، وتلك من سنن الله تعالى في خلقه وناموسه في عباده، لقد سئل الحسن عن الذين عبروا النهر :(أَلَيْسَ الْقَوْم جَمِيعًا كَانُوا مُؤمنين الَّذين جاوزوا؟ ! فقَالَ: بلَى، وَلَكِن تفاضلوا بِمَا شحت أنفسهم من الْجِهَاد فِي سَبيله) [80].

ثانياً: القلة المذمومة وصفاتها وخصائصها في القرآن الكريم.

القلة الواردة في القرآن الكريم كما مر بعضها محمود، وهذا وقفنا على صفاته، وعرفنا أهم ما يميزه، أما القلة المذمومة فقد عرض القرآن الكريم لها كذلك بيانا لصفاتها، وتعريفا لملامحها؛ كي تحذرها كل قلة تريد الشهود الحضاري، وتحقق خيرية الأمة، وهي رسالتها وهدفها في

80 لباب التأويل في معاني التنزيل ، مرجع سابق، ص 58.

سبيل مرضات الله عز وجل، ومن تتبع تلك الأوصاف ندرك أن الوصف بالقلة المذمومة ورد في مواطن متعددة، منها: وصف متاع الحياة وزخرفها بالقلة، ووصف زمان الكافرين بأنه قليل، ووصف متاع أهل سبأ بالقلة بعد أن جحدوا نعمة الله تعالى، ووصف اللبث في الدنيا كلها بالنسبة للآخرة بالقلة، ووصف سكنى من بطروا معيشتهم في الدنيا بالقلة، ووصف متاع الجاحدين وطعام المجرمين بأنه قليل، كما وردت القلة في وصف شكر عموم الناس، ووصف إيمانهم، وتذكرهم.

2.3.2 أقسام وانواع الكثرة في القرآن الكريم:

تنقسم الكثرة في القرآن الكريم إلى نوعين الكثرة المحمودة، والكثرة المذمومة، ونتناولها بالتفصيل فيما يلي:

أولاً: الكثرة المحمودة:

هي التي تناولها القرآن مادحا لها بذكرها في مواطن تدعو إلى أهميتها، وتحث على الإفادة منها، سواء كان ذلك على سبيل الامتنان على أصحابها بأنهم كانوا قليلا فكثّرهم الله، أو رغبة النبي – صلى الله عليه وسلم– في الاستكثار من الخير لو كان يعلم الغيب، أو عفو الله – تعالى– عن كثير من الذنوب منّاً منه على عباده وفضلاً، أو الدعوة إلى تسبيح الله تعالى وذكره كثيرا، أو مَنُّهُ تعالى على عباده بالغيث الكثير الذي يحيي به البلاد ويُقيت العباد، ويُنشئ لهم منه جنات من نخيل وأعناب لهم فيها فواكه كثيرة، وأثر كثرة ذكر الله تعالى في عصمة المؤمنين من أن يقولوا ما لا يفعلون، أو مَنّ الله تعالى على عبده ونبيه – صلى الله عليه وسلم – بالكوثر: النهر الكثير الخير، الذي لا يظمأ من شرب منه أبدا، أو من الله تعالى على المؤمنين بكثرة نصره لهم في مواطن كثيرة، وتعديده تعالى لكثرة من قاتل مع النبيين من الربانيين والمجاهدين، ومن الله تعالى على عباده بكثرة الساجدين له من الخلق، واهتداء كثير من الناس بما يضربه الله تعالى لهم من الأمثال، أو وصفه تعالى لمن يؤت الحكمة بأنه قد أوتي خيرا كثيرا، وأنه لا يعقل ذلك ولا يفيده إلا أولو الألباب، أو منُّه تعالى على عباده بكثرة ما خلق من نسل آدم وحواء ودعوته إياهم أن يتقوه؛ شكرا لهذه المنة ووفاء لتلك النعمة[81].

[81] وسائل الدعوة إلى الله تعالى، مرجع سابق، ص 87.

ثانياً: الكثرة المذمومة:

تبدو الكثرة المذمومة في القرآن الكريم من خلال تعبير القرآن وحديثه عنها في معرض الذم والإنكار، سواء كان ذلك على سبيل البيان؛ لأن كثيرا من الناس يضلون بأهوائهم بغير علم، أو بيان أن كثيرا من الناس عن آيات الله غافلون، أو بيان دعوى الأقوام أنهم لا يفقهون كثيرا مما يقوله الأنبياء والمرسلون، وتنكبهم الصراط المستقيم ، وإضلال الأصنام لكثير من الناس، وأن كثيرا من القرون بين عاد وثمود هلكوا بذنوبهم، وأن كثيرا منهم بلقاء ربهم كافرون، وإضلال الشياطين لكثير منهم، وبيان أن كثيرا من الخلطاء يبغي بعضهم على بعض، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأن هؤلاء قليلون، أو أن المرء لو أطاع أكثر من في الأرض لأضلوه عن سبيل الله، وبيان طبيعة أكثر الناس وأن أكثرهم لا يعلمون، ولا يعقلون، ولا يسمعون، ولا يؤمنون بالله إلا وهم مشركون، وتمضي الكثرة في القرآن الكريم لتبين للناس أن أكثر أهل الكتاب لا عهد لهم، وأن كثيرا منهم فاسقون، وأن كثيرا منهم ساء ما كانوا يعملون، وأن كثيرا منهم عموا وصموا، وبيان أن الكثرة المعادية لله تعالى لا تغني عن أصحابها شيئا، أو أن الخبيث لا يساوي الطيب ولو أعجب الناس كثرة الخبيث، أو ذم كثير من أهل الكتاب الذين يودون أن يردوا المؤمنين عن إيمانهم، أو كثرة النجوى في غير أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس[82].

3- سـنـن الله في القلة والكثرة في القرآن الكريم.

3.1- سنن الله في القلة :

عند الناظر في آيات القلة في القرآن الكريم نجد أنها تمضي في خط واحد، وتسعى إلى هدف محدد، بما يبرز صورة متكاملة عن قضية كلية ، لها ملامحها وسماتها، ولها أصول جامعة، ونظائر متناسقة، ويمكن أن نرصد تلك السنن في القلة في الخطوتين التاليتين:

أولاً: ملامح الترابط السنني في آيات القلة:

عند الناظر في آيات القلة الواردة في القرآن الكريم يجد هذا الخيط الدقيق الرقيق الذي يربطها ويجمعها من أولها إلى آخرها، لا تنقض آية أختها، بل تمشي في مسارها، وتؤكد

---

[82] أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، مرجع سابق، ص 191.

عطاءها، وترسخ دلالتها، سواء ذلك في وصف الفئة المؤمنة التي اتبعت نوحا عليه السلام، وآمنت به إذ كذبه الناس، وناصرته إذ تخلى عنه البشر، القريب والغريب والصديق والعدو حتى ابنه الذي هو من صلبه، تخلى عن دعوته وهجر رسالته حتى يوصي السالف الخالف، ويؤكد الأجداد وصيتهم للأبناء بل الأحفاد موقفهم من نوح عليه السلام والفئة القليلة من قوم نوح هي، هي، التي وصفها قومها بأنها أراذل بل (أراذلنا)، وأنهم متسرعون في الإيمان (بادي الرأي)، وأنهم ليس لهم على قومهم فضل ولا سبق، وهذه الصفات وتلك الخيوط الدقيقة التي وقفنا أمامها تفصيلا لدى الحديث عن صفات القلة، وهي التي تتكرر في كل قلة، بما يؤكد خط السننية في تلك الآيات الكريم ، كما تلمح التهم نفسها والصفات ذاتها تتكرر في اتهام قريش أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ورغبة أهل مكة في أن يجعل لهم الرسول يوما ولهؤلاء يوما حتى نزل القرآن الكريم ينهى رسول الله عن ذلك[83]، ويصف هؤلاء القلة بأنهم ﴿**يريدونَ وجهه**﴾[84]، ويأمر نبيه بأن لا يعدو وجهه عنهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿**واتلُ ما أُوحِي إِلَيك مِن كِتابِ ربك لاَ مبدلَ لِكَلِماتِهِ ولَن تجِد مِن دونِهِ ملْتحدا * واصبر نفْسك مع الَّذِين يدعونَ ربهم بِالْغداةِ والْعشِي يرِيدونَ وجهه ولاَ تعد عيناك عنهم ترِيد زِينةَ الْحياةِ الدنيا ولاَ تطِع من أَغْفَلْنا قَلْبه عن ذِكْرِنا واتبع هَوَاه كَانَ أَمره فُرطًا * وقُلِ الْحق مِن ربكُم فَمن شاءَ فَلْيؤمِن ومن شاءَ فَلْيكْفُر إنا أَعتدنا لِلظَّالِمِين ناراً أَحاط بِهِم سرادِقُه وإِنْ يستغِيثُوا يغاثُوا بِماءٍ كَالْمهلِ يشوِي الْوجوه بِئْس الشراب وساءَت مرتفَقًا**﴾[85] .

فهؤلاء الذين وصفوا بالقلة قديماً وحديثاً وفي واقعنا الذي نعيشه وتتأكد فيه سنن الله سبحانه وتعالى تأكداً يبرهن على صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان واستيعابه لشؤون الدنيا والآخرة، هؤلاء هم خلاصة قومهم وبقية جنسهم وجوهر أهل زمانهم، وهم الذين وعدوا بالنصر في كل زمان لتحقق شروط النصر فيهم وهم أهل الابتلاء والاختبار، والفرز

---

[83] انظر: الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ/ 1974م، ص 243.

[84] الكهف: 28.

[85] الكهف: 27- 29.

والتمحيص، وهم دائما لحمة واحدة، تلمح ذلك في حديث الآيات عن أتباع نوح عليه السلام وفي بيانات القرآن المتعددة وعباراته الموحية الموجهة، الفئة التي آزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنت به، وله، تبدو فيها هذه الصفات التي بدت في قوم نوح وفي الذين ناصروا طالوت من عدم الاحتفال بالمال والجاه والمنصب والسلطان، وأنهم يسارعون إلى التصديق بالنبوة والرسالة، وهم الذين جمعهم الإسلام وألف بينهم فكانوا (فئة)، يفيء بعضهم إلى بعض، ويتضامن كل أخ إلى أخيه، حتى يصير به وله عضدا وأزرا، حتى أذاب هذا الدين فوارق الجنس واللون والعرق واللسان والزمان والمكان.

ثانياً: بيان الأصول الجامعة لقضية السننية في القلة:

بعد رصد الآيات التي تناولت القلة مكية ومدني ، وسواء كانت تلك القلة في الأفراد أو الأمم أو الأشياء ودرسها وتأمل دلالاتها يمكن أن نستخلص في نقاط السنن الماضية والأصول الجامعة في قضية القلة على النحو التالي: [86]

1- أنهم السابقون إلى الإيمان والصابرون على ابتلاءاته.

2- أنهم الثابتون في الأزمات والاختبار.

3- أنهم يُختارون بعد ابتلاء واختبار.

4- أنهم الناصرون للحق والدعوات.

5- أنهم الشاكرون قولا وعملا.

6- أنهم فقهاء علماء واعون بالدنيا واعبون بالحياة.

7- أنهم عالمون بالسنن والنواميس الجارية والخارقة في الحياة والأحياء.

8- أنهم عادلون في الشركة لا يبغون في الخلطة.

9- أنهم الراضون بعطاء الله وقضائه.

10- أنهم خلاصة زمانهم وبقية جيلهم.

11- أنهم المنصورون المؤيدون.

12- أنهم دائما لحمة واحدة.

---

[86] الدعوة الإسلامية (أصولها ووسائلها)، مرجع سابق، ص 192.

13- أنهم لا يحفلون بالمال ولا يأبهون بالجاه والملك والسلطان.

14- أنهم أصحاب العزم.

15- شدة صلتهم بالله سبحانه وتعالى وحسن ثنائهم عليه.

16- أنهم أقدر الناس على الثبات وطاعة القواد.

تلك بعض الأصول الجامعة التي يمكن أن تصور لنا سنن الله سبحانه وتعالى في القلة في ضوء الآيات الكريمة والتي يمكن أن يفيد منها المسلمون عامة والمعنيون بنهضة الأمة خاصة[87] .

3.2- سنن الله في الكثرة.

المتأمل لآيات الكثرة في القرآن الكريم يجد خيطا دقيقا رقيقا يربطها، وسياجا واضحا يحكم صورتها، بما يؤكد السننية فيها، ويمكن أن نتابع تلك السنن في خطوتين: [88]

أولاً: ملامح الترابط السنني في آيات الكثرة:

وإذا نظرنا إلى آيات الكثرة وتفحصنا سيرها ودلالاتها، رأينا أنها تمضي في خط واحد، وتهدف إلى رسالة واضحة، في كل الآيات الكريمة، بما يبرز السننية الواضحة والقاعدية المطردة، فهي مثلاً تأتي في مواطن لوم قوم نوح له على كثرة جداله لهم، وإلحاحه في دعوتهم إلى، ورد في موطن وصف قوم فرعون الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، وفي موطن لوم الله تعالى للضالين من الجن الذين استكثروا من الإنس ووصف أكثر الناس بأنهم يضلون عن سبيل الله، وأن أكثر الجن والإنس ذرأهم لجهنم، وبيان أن كثيرا من الناس عن آيات الله غافلون، وبيان أن كثيرا من الخلطاء يبغي بعضهم على بعض، وبيان أن أكثر الناس لا يشكرون، وأن أكثرهم لا يعقلون، وأن أكثرهم لا يعلمون، وأن أكثرهم يجهلون، وأن أكثرهم

---

87 الدعوة الاسلامية، ص 193.

88 أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ص 217.

فاسقون، وأن أكثرهم لا يعقلون، وبيان أنه لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبت الرائي كثرة الخبيث، المتتبع لهذه الآيات الكريمة يجد الخيط الذي يربطها والمحور الذي تدور حوله هو وصف أكثر الناس ووصف أكثر أهل الكتاب وهو من وصف البعض بعد الكل أو وصف الخاص بعد العام، ووصف لمفردات من الأشياء متجانسة كما مر في صلب البحث متن، بما يشعر الناظر المتأمل أن هذه السنة متكاملة المعالم واضحة الملامح بينة القسمات، جلية الصفات.

ومن بينات الدلالة السننية في تلك الآيات ما يأتي:

1- تعبيرات القرآن الكريم نفسه عنها بجلاء ووضوح بألفاظ تؤكد سننيتها مثل التعبير عنها بالأحكام العامة التي تتسم بالشمول والعموم، والقابلة للتطبيق في أفراد كثيرة مثل: (أكثر الناس)، (أكثرهم)، (كثير منهم)، ونحو ذلك من العبارات التي تبين السننية والحُكْمية في الدلالة.

2- الأحكام المطلقة الواردة في الآيات، (أكثرهم، كثير، أكثر الناس، كثير منهم،)، وهذا الإطلاق الذي تعبر عنه الآيات الكريمة سمة من سمات السنن الربانية، وخصيصة من خصائصها، سواء كانت سننا تتعلق بالكون والحياة، أو سننا اجتماعية، أو تاريخية، فردية أو جماعية.

3- من بينات الدلالة السننية في آيات القلة والكثرة، ما ورد في تعقيب القرآن على كثير من الآيات التي تتناول وصف تلك السنة، من مثل قوله تعالى بعد الحديث عن قوم طالوت وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، قال تعالى: ﴿تلك آيات الله نتلوا عليك بالحق وإنك لمن المرسلين﴾ [89].

---

[89] البقرة: 252.

بلفظ (الآيات)، يقول ابن القيم في زاد المسير: (أي: نقص عليك من أخبار المتقدمين. وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ حُكمُك حكمهم، فمن صدقك، فسبيله سبيل من صدقهم، ومن عصاك، فسبيله سبيل من عصاهم)، وتلك كلها عين السنن الربانية في خصائصها وبيانها وفي دلالتها وتعبيرها[90].

وقد عقب الله تعالى هذه السنن الواردة في قصة الألوف والملأ من بني إسرائيل من بعد موسى بقوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ [91].

يقول صاحب المنار في بيان أثر المؤكدات الواردة في شأن فرعون: (وَأَكَّدَهُ هَذَا التَّأْكِيدَ لِمَا تَقْتَضِيهِ شِدَّةُ الْغَفْلَةِ مِنْ قُوَّةِ التَّنْبِيهِ، أَيْ إِنَّهُمْ لَشَدِيدُوا الْغَفْلَةِ عَنْهَا عَلَى شِدَّةِ ظُهُورِهَا فَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي أَسبابِهَا وَنَتَائِجِهَا وَحِكَمِ اللهِ فِيهَا، وَلَا يَعْتَبِرُونَ بِهَا، وَإِنَّمَا يَمُرُّونَ عَلَيْهَا مُعْرِضِينَ كَمَا يَمُرُّونَ عَلَى مَسَارِحِ الأنعام، وَفِيهِ ذَمٌّ لِلْغَفْلَةِ، وَعَدَمِ التَّفَكُّرِ فِي أسباب الْحَوَادِثِ وَعَوَاقِبِهَا وَاسْتِبَانَةِ سُنَنِ اللهِ فِيهَا، لِلِاعْتِبَارِ وَالِاتِّعَاظِ بِهَا) [92].

ثانيا: الأصول الجامعة لسنن الله في الكثرة

بعد رصد الآيات التي تناولت الكثرة: مكية ومدنية، وسواء كانت تلك الكثرة في الأمم، أو الأفراد أو الأشياء ودرسها وتأمل دلالاتها يمكن أن نستخلص في نقاط السنن الماضية والأصول الجامعة في قضية الكثرة على النحو التالي:

1- أن الكثرة شملت في آياتها الأفراد والأمم.

2- أن منها ما يتعلق بالناس، ومنها ما يتعلق بأهل الكتاب، ،وفي كل تمضي في سننية مطردة تزيدها الحياة تأكيدا، خاصة في المقدور على معرفته من واقع الناس وأحداث الحياة.

---

90 مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، مرجع سابق، ص 127.

91 البقرة: 251.

92 محاسن التأويل، مرجع سابق، ص 220.

3- أن الكثرة تكون محمودة إذا كانت فيما يفيد كالكثرة في عدد القبيل والآل الذين يستعان بهم في قضاء المراد، والتغلب على الأعداء.

4- أن الكثرة تكون محمودة إذا كان العدد فيها لا يؤثر على النوع، والكم فيها لا يفسد الكيف، بل يدعمه ويقويه.

5- أنها تكون محمودة في استجلاب الخير، والحرص عليه.

6- أنها تكون محمودة في باب ذكر الله تعالى، وشكره وتسبيحه.

7- تكون محمودة إذا كانت في جانب النفع عامة للبلاد والعباد، كالكثرة في الغيث المفيد الذي يحيي الله به البلاد ويقيت به العباد. تلك بعض الأصول الجامعة التي يمكن أن تصور لنا سنن الله تعالى في القلة في ضوء الآيات الكريمة، والتي يمكن أن يفيد منها المسلمون عامة والمعنيون بنهضة الأمة خاصة [93].

4- الخاتمة

من خلال هذا البحث تم تناول موضوع " القلة والكثرة في القرآن الكريم، فقد احتوى الفصل الأول منه مفهوم وخصائص القلة والكثرة في القرآن الكريم وسنن الله فيها، وتفرع عنه ثلاثة مباحث وعدة مطالب، أما الفصل الثاني فقد تم تناول سنن الله في القلة والكثرة في القرآن الكريم، تفرع عنه مبحثان.

وقد تم التوصل إلى عدة نتائج تمثلت فيما يأتي:

1- أن الكثرة في اللغة: نقيض القلة، وجرى استعمالها عند أهل العلوم بناءً على مقتضاها اللغوي، فالكثرة: ما يقابل القلة، وهي نماء العدد.

2- أن القلة في اللغة: نقيض الكثرة، ويعبَّر عن الشيء المعدوم بأنه قليل؛ بناءً على أن القليل إذا بولغ فيه يستتبعه العدم، وقد جرى استعمالها عند أهل العلوم بناءً على مقتضاها اللغوي، فهي ما يقابل الكثرة، وهي نزارة الشيء.

3- أن الكثرة والقلة لفظان يستعملان في وصف الكمية المنفصلة، كالأعداد.

---

[93] أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ص 122.

4- أن الكثرة والقلة كغيرها من الألفاظ لها صلة ببعض الألفاظ الأخرى.

5- إن للدلالة العددية أعني بذلك الدلالة على القلة والكثرة أثاراً عظيمة في تفسير كتاب المولى عز وجل، فإذا ما تأملناها في القرآن الكريم، وجدناها أمرا مقصودا في كل جزئية من جزئياته، قائمة على أعلى درجات الفن والبلاغة والإعجاز، في الكشف عن سر مستور، أو كنز مخبوء من كنوز هذا التعبير العظيم.

6- أن الدلالة على القلة والكثرة لا تؤخذ من الصيغ الصرفية وحدها، بل يجب أن تراعى معها حيثيات أخرى لعل أهمها السياق وما يحويه من قرائن دالة على المعنى المراد من هذه الصيغة أو تلك، فتعدّد المعنى بالنسبة للمبنى الصرفي الواحد، دليلٌ قويٌ على جدوى مراعاة السياق وما يحمله من قرائن لفظية أو معنوية أو حالية للوقوف على الدلالة الدقيقة للفظة.

7- تنوّع استعمال القرآن الكريم للألفاظ من حيث الدلالة على القلة والكثرة، فقد استعملت الكثير من ألفاظ القلة الدالة على الكثرة والعكس، وهذا التنوع في الاستعمال لم يكن أمرا اعتباطيا، بل كان أمرا مقصودا اقتضاه المعنى الذي وجهت إليه اللفظة وفرضته طبيعة السياق الذي وردت فيه.

8- أن الصيغ الصرفية في سياق العبارات تحمل في تضاعيفها معاني بلاغية فنية تحيزها دون غيرها تبرز أثناء استعمالها في سياقات محددة.

9 - ساهم الجمع بين الجانب الديني والجانب اللغوي في هذا البحث، في دراسة العديد من الصيغ الصرفية في القرآن الكريم، وإعطائها تحليلا كاملا فنيا وبلاغيا واعجازيا، نظرا لجمعه بين الدلالات المرتبطة باللغة القرآنية والتي يمثلها علماء التفسير، وبين الدلالات الصرفية لأوزان هذه الجموع والتي مثلها علماء اللغة.

10- أن التفات علماء التفسير إلى الجانب الصرفي في القرآن الكريم، أتاح التعرف على جل الاحتمالات التي يمكن أن يكون الدليل قد رمى إليها بوجه من وجوه الدلالة في تفسير كتاب المولى عز وجل.

11-كشف هذا البحث عن حقيقة لابد من معرفتها، خلاصتها أن ما دونه النحويون من دلالات جموع القلة والكثرة، لا يكون دائما سببا وحيدا يعتمد عليه في تعليل الظاهرة اللغوية لتواجد حيثيات أخرى.

12- في سنن القلة نجد أنها تمضي في خط واحد، وتسعى إلى هدف محدد، بما يبرز صورة متكاملة عن قضية كلية، لها ملامحها وسماتها، ولها أصول جامعة، ونظائر متناسقة، حيث يوجد خيط دقيق رقيق يربطها ويجمعها من أولها إلى آخرها، لا تنقض آية أختها، بل تمشي في مسارها، وتؤكد عطاءها، وترسخ دلالتها.

13- ما قيل في سنن القلة يقال في سنن الكثرة، وهي تهدف إلى رسالة واضحة، في كل الآيات الكريمة، بما يبرز السننية الواضحة والقاعدية المطردة، فهي مثلاً تأتي في مواطن لوم قوم نوح له على كثرة جداله لهم، وإلحاحه في دعوتهم إلى الله، ورد في موطن وصف قوم فرعون الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد.

المصادر والمراجع:

REFERENCES:

‘Abd al-Bāqī al-Yamanī. (1406H-1986). Isyārah al-Ta’yīn. Al-Riyādh: Dār al-Ṭabā’ah, Ed.1.

‘Abd al-Ḥalīm ‘Uwais. (1427H-2006). Al-Muslimūn min al-Tab’iyyah wa al-Fitnah ilā al-Qiyādah wa al-Tamkīn. Maktabah al-‘Abīkān, Ed.1.

‘Abd al-Malik bin Quraib al-Aṣma’ī. Al-Aṣma’iyyāt. Beirūt: Dār al-Nahḍah al-‘Arabiyyah, Ed.1, 26/4.

‘Abd al-Raḥman bin Abī Bakr, Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī (1394H-1974). Al-Itqān fi ‘Ulūm al-Qurān. Taḥqīq: Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, al-Haiah al-Meṣriyyah li Kitāb.

‘Abd al-Raḥman Ḥasan Ḥanbakah (Al-Maidānī). (1417H-1996). Fiqh al-Da’wah ilā Allāh wa Fiqh al-Naṣaḥ wa al-Irshād wa al-‘Amr bi al-Ma’rūf wa al-Nahī ‘an al-Munkar. Vol.1, Damsyiq: Dār al-Qalam, Ed.1.

Abī al-Faḍl Jamāl al-Dīn bin Mukarram bin Manẓūr al-Afrīqī al-Meṣrī. (2002). Lisān al-‘Arab. Tartīb: Yūsuf Khiyāṭ, Taqdīm: ‘Abd Allāh, Beirūt: Dār Ṣādir.

Abū al-Ḥasan ‘Alī bin Ismā’īl bin Sayyidah al-Mursī (1417H-1996). Al-

Mukhaṣaṣ. Taḥqīq: Khalīl Ibrāhīm Jafāl, Beirūt: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, Ed.1.

Abū al-Qāsim Maḥmūd bin 'Amrū bin Aḥmad, al-Zamakhsyarī Jār Allāh (1407H). Al-Kasyāf 'an Ḥaqāiq Ghawāmiḍ al-Tanzīl. Beirūt: Dār al-Kitāb al-'Arabī, Ed.3.

Abū Muḥammad 'Abd al-Ḥaq bin Ghālib bin 'Abd al-Raḥman bin Tamām bin 'Aṭiyyah al-Andalusī al-Maḥāribī (1422H). Al-Muḥarrar al-Wajīz fī al-Kitāb al-'Azīz. Taḥqīq: 'Abd al-Salām 'Abd al-Syāfī Muḥammad, Beirūt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Ed.1.

Aḥmad bin 'Alī al-Qalqashandī. Ṣubḥ al-A'syā fī Ṣinā'ah al-Insyā'. Beirūt: Dār al-Nahḍah al-'Arabiyyah.

Aḥmad bin Fāris bin Zakariā al-Qazwainī al-Rāzī, Abū al-Ḥusayn, (1406H-1986). Maqāyīs al-Lughah li Ibn Fāris. Dirāsah wa Taḥqīq: Zahīr al-Muḥsein Sulṭān, Beirūt: Muassasah al-Risālah, Ed.2.

Aḥmad bin Muḥammad bin Ibrāhīm al-Thu'labī, Abū Isḥāq, (1422H-2002). Al-Kasyf wa al-Bayān 'an Tafsīr al-Qurān. Taḥqīq: Al-Imām Abī Muḥammad bin Āsyūr, Murāja'ah wa Tadqīq: Al-Ustāz Naẓīr al-Sā'idī, Beirūt-Lubnān: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, Ed.1.

'Alā' al-Dīn 'Alī bin Muḥammad bin Ibrāhīm bin 'Umar al-Syīḥī Abū al-Ḥasan, al-Khāzan. (1415H). Labāb al-Ta'wīl fī Ma'ānī al-Tanzīl. Taḥqīq: Muḥammad 'Alī Syāhīn, Beirūt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Ed.1.

Al-'Alailī. (1408H-1988). Vol 2, Beirūt: Dār al-Jīl Dār Lisān al-'Arab, Ed.1.

Al-Azharī. (1421H-2001). Tahzīb al-Lughah. Vol 8, Beirūt: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, Ed.1.

Al-Ṭabrīzī. (1414H-1994). Syarḥ Dīwān Abī Tamām. Dār al-Kitāb al-'Arabī, Ed.2.

Al-Zarkalī. Al-'A'lām. Vol 3, Beirūt: Dār al-'Ilm li Malāyīn.

Fahd al-'Aṣīmī. (1433H). Al-Da'wah ilā Allāh Ahammiyatihā wa Rasāilihā. Al-Riyādh: Al-'Abīkān, Ed.1.

Ibrāhīm bin Ismā'īl al-Ibyārī (W: 1414H). (1405H). Al-Mawsū'ah al-Qurāniyyah. Muassasah Sajal al-'Arab.

Muḥammad al-Bayānūnī. Al-Madkhal ilā 'Ilm al-Da'wah. Al-Riyādh.

Muḥammad Jamāl al-Dīn bin Muḥammad Sa'īd bin Qāsim al-Ḥalāq al-Qāsimī (W: 1332H). (1418H). Maḥasin al-Ta'wīl. Taḥqīq: Muḥammad Bāsil 'Uyūn al-Sūd, Beirūt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, Ed.1.

Muḥammad Namr al-Khuṭaib. (1401H-1981). Mursyid al-Du'āh. Beirūt: Dār al-Ma'rifah li Ṭibā'ah wa al-Nasyr, Ed.1.

Nāṣir al-Dīn Abū Sa'īd 'Abd Allāh bin 'Umar bin Muḥammad al-Syairāzī al-Baiḍāwī (W: 685H). (1418H). Anwār al-Tanzīl wa Asrār al-Ta'wīl.

Taḥqīq: Muḥammad ʻAbd al-Raḥman al-Marʼashly, Beirūt: Dār Iḥyāʼ al-Turāth al-ʻArabī. Ed.1.

Niẓām al-Dīn al-Ḥasan bin Muḥammad bin Ḥusayn al-Qumī al-Naysābūrī (1416H). Gharāib al-Qurān wa Raghāib al-Furqān. Taḥqīq: Al-Syeikh Zakariā ʻAmīrāt, Beirūt: Dār al-Kutub al-ʻIlmiyyah, Ed.1.

Yāqūt al-Ḥamawī. (1414H-1993). Irshād al-Arīb. Vol 6, Beirūt: Dār al-Gharb, Ed.1.